

## الحكومة المحلية ومقامها في النظم الديمقراطية

عبارة "الحكومة المحلية" تعنى تلك المجالس المحلية التى تحكم المدينة أو القرية، وتتولى جباية بعض الضرائب من السكان لإنفاقها على المرافق العامة، والمتأمل لتاريخ أوروبا يجد أن هذا النظام كان قائماً حتى أيام القرون الوسطى. فإن بعض المدن الكبرى كانت على الدوام تعتر باستقلالها. وكان لكل مدينة - وخاصة تلك المدن التى تقع على الشواطئ - مجلس يتولى شؤونها وينتخب بأساليب ديمقراطية صميمية أو مختلطة. وكلنا يعرف أن البندقية وجنوا وهامبورج كانت مدناً مستقلة. كما أن كثيراً من العواصم الأوروبية كانت تحتل على الدوام بقليل أو كثير من الاستقلال الذاتى الذى تمثله مجالسها البلدية.

والأمم الأوروبية تختلف ونظرها لمقام الحكومة المحلية. ويمكن أن يقال على وجه الإجمال أن الأمم اللاتينية أقل إيماناً بهذا النظام وأقل ممارسة له فى حين أن الأمم الشمالية - ونضيف إليها الولايات المتحدة الأمريكية - أكثر إيماناً وممارسة لنظم الحكومة المحلية. ففى فرنسا مثلاً نجد أن باريس تجمع سطة وهى التى تعين موظفى المقاطعة ولا تكاد تترك للجلس البلدى أو المحلى غير أقل الحقوق والأعمال. أما فى بريطانيا فإن الحل على خلاف ذلك. حتى إن الانجليزى الساكن فى برمنجهام مثلاً لا يكاد يحس أن لندن عاصمة الدولة ممثلة فى أى موظف كبير أو صغيراً فى مدينته. لأن المجلس البلدى فى برمنجهام يقوم بجميع أنوال النشاط الإدارى وهو الذى ينتخب العملة ويعين الشرطة، وهو الذى يعين مقدار الضريبة التى تجبى من السكان ويقوم بإيجاد المنتزهات وإنشاء الميادين وتهديد الشوارع. بل هو يشتري أرض الضواحي ويبنى المنازل ويفشى المدارس وأحياناً ينشئ المطابخ للفقراء.

والحكومة المحلية أو المجالس البلدية أصيلة فى النظم الديمقراطية. فإن الشاب أو الفتاة التى تنشأ فى القرية تجد المجلس المحلى. وكذلك يجد الشاب أو الفتاة المجلس البلدى فى المدينة. وهو (بل هو أيضاً) مكلف أن ينتخب وأن يدرس المسائل التى تواجهها مدينته أو قريته، وهو فى هذا النضال المصغر يمارس حياة نيابية ينتفع بها فى تفهم النضال الحزبى للبرلمان الذى يسن القوانين للأمة. والمألوف المشاهد فى أوروبا أن الأحزاب التى تناضل من أجل الانتخابات المحلية لا تختلف عن الأحزاب التى تناضل من أجل الانتخابات البرلمانية. فإننا

نجد الأحرار والمحافظين والاشتراكيين والفاشين في المجلس البلدى كما فى البرلمان ، والمحافظون يتخذون شعار الاقتصاد فى فرض الضرائب وكراهة التوسع فى النشاط البلدى . والاشتراكيون بهمكمهم يطلبون زيادة الضرائب على السكان والتوسع فى الأعمال التى تقوم بها المجالس المحلية أو البلدية .

والآن ما الأعمال التى تقوم بها المجالس البلدية فى أوروبا أو أمريكا ؟

ولإجابة على هذا السؤال نقول إن هذه الأعمال تختلف . فهى فى الأمم الجنوبية قليلة . وفى الأمم الشمالية كثيرة . ولكن هناك أعمالا تكاد تتفق جميع المجالس البلدية على القيام بها وهى :

- ١ — إقامة المنشآت لتكرير الماء وتوزيعه على المنازل .
  - ٢ — تنظيم المجارى واستغلال مياهها .
  - ٣ — تولى الإضاءة الكهربائية أو الغازية للمدينة .
  - ٤ — تنظيم الشوارع سواء بشق شوارع جديدة أو تمهيد القديمة أو توسيعها .
  - ٥ — إيجاد المنتزهات للمدينة .
  - ٦ — إيجاد المكتبات المجانية العامة .
  - ٧ — الصيانة الصحية العامة من كنس أو تنظيف أو نحو ذلك .
- ولكن هناك مجالس أخرى تتولى أعمالا أخرى . مثال ذلك قيامها بإدارة الترام أو سيارات الركاب العامة والمدن التى تترك هذا العمل الآن للشركات أو الأفراد قليلة . وهناك إنشاء المدارس ؛ فإن المجالس البلدية فى المدن الصناعية تنفق المدارس لليلة التى تعالج التجارة أو الصناعة التى تعيش بها المدينة . وكثير من المدارس الفنية فى أوروبا قد أنشأتها المجالس البلدية وهى تقصد منها إلى خدمة الصناعة أو التجارة فى المدينة . وهناك مجالس أخرى أنشأت بنوكا تجارية لمساعدة التجار ولتشجيع الادخار بين العمال ، وفى الأزمات لا يكاد يوجد مجلس بلدى أو محلى لا ينشئ المطابخ المجانية للإسعاف الوقتى . وفى السنوات الأخيرة توسعت المجالس البلدية فى شراء أرض الضواحي وبناء المنازل وتأجير هذه المنازل أو بيعها بالتقسيط .

وهناك مجالس قروية أو مركزية تتولى الأعمال العامة فى المركز الذى يضم نحو عشرين أو ثلاثين قرية ، وهى التى تتولى شق الطرق الزراعية وإيجاد الأسواق الريفية وتقوم بإنشاء المعارض الزراعية أو الصناعية التى يقوم بها سكان الإقليم ، وأحيانا تؤسس المؤسسات الفنية لخدمة الزراعة أو الصناعة بل يبلغ من خيرة بعض المجالس على نشر الثقافة أنها تبين السيارات لحمل الكتب وتوزيعها على السكان فى الأحياء البعيدة من المكتبات العامة .

وقد ذكرنا بعض ألوان النشاط البلدى أو المحلى على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر فإننا نستطيع أن نذكر مثلا أن بعض هذه المجالس يتولى دفن الموتى كما أن بعضها ينشئ الأندية بل قد يشترك فى الحانات لكى يحدد مقدار الكحول ويشرف على توزيع الخمر حتى لا تعطى لسكران ، وبعضها ينشئ الحائز .

والمشاهد أنه عند ما تكتسح البلاد موجة اشتراكية تنشط المجالس المحلية والبلدية وتتولى أعمالا كثيرة . وعندما تكون الأكرية للحافظين تقل هذه الأعمال . لأن الرأى المحافظ يقول إن الصناعة أو التجارة يجب أن تكون حرة للزراعة بين الأفراد . وإذا دخلت المجالس البلدية فى بناء المنازل مثلا فإنها فى الأغلب لن تنشأ منها ربحا فلا يجد المولون مجالا لاستثمار أموالهم فى البناء ، لأنهم لا يستطيعون مزاحمة هذه المجالس . ولكن يرد على ذلك بأن المجالس تتولى أعمالا معينة ومحدودة فيدان المزاحمة لا يزال متسعا للأفراد فى مئات الأعمال الأخرى .

وأعرق الأهم فى الحكومة المحلية هى الأمة السويسرية ، فإن سكان القرية فى سويسرا هم أيضا برلمانها الذى يجتمع فى أوقات معينة ويعين الهيئة التنفيذية لحكومة القرية .

ولننظر الآن فى ألوان من النشاط الذى تؤديه مجالس بلدية بما لا يخطر على بالنا فى مصر :

١ - فى نروج مثلا تملك المجالس البلدية جميع الدور السينائية . وهى لهذا السبب لا تنقل بالضرائب على السكان لأن دخلها كبير من هذه الدور .

٢ - يملك المجلس البلدى فى زوريخ ( فى سويسرا ) ثلث المساكن فى المدينة كما أنه يملك ثلاثة آلاف فدان انجليزى ( أى نحو ٣٣٠٠ فدان مصرى ) من أرض الضواحي التى اشتراها بأمانها الزراعية لكى يبيعها أجزاء للبناء أو يبنى هو نفسه عليها المنازل .

٣ - يعد المجلس البلدى فى لندن أكبر المجالس البلدية فى العالم . فإن ميزانيته تزيد على أربعين مليون جنيه ، وهو ينفق منها على المدارس والطرق والبناء وبناء المنازل ويساعد أندية الشباب ويؤسس المكتبات والمستشفيات .

٤ - كثير من المجالس البلدية فى أوروبا يقدم الطعام بالجان للتلاميذ الفقراء .

٥ - جميع المجالس المحلية أو البلدية تمنح المرأة حق التصويت والترشيح للانتخاب .

٦ - جميع المجالس المحلية أو البلدية أيضا هى التى تعين الشرطة للمدينة أو القرية .

وعن قريب سينشأ للقاهرة مجلس بلدى . وليس شك فى أن الفوائد المادية التى ستعود على القاهريين من هذا المجلس ستكون عظيمة . ولكن الفوائد الروحية سوف تكون أعظم . فإن المجلس البلدى ألصق بالسكان من البرلمان . ذلك أن البرلمان يعالج شؤوننا عامة تخص الأمة كلها أو هو يتناول مسائل السياسة العليا والعلاقات الخارجية والخطط الاقتصادية

مما قد يعنو على ذكاء الفرد العادى . أما المجلس البلدى فانه يعالج مسائل محلية فى هذا لشارع أو تلك المكتبة ، أو هذا المستشفى . بل هو قد يقيم تمثالا هنا ومتنزها هناك . والمناقشات الخاصة بهذه المشروعات جميعها تتصل بساكن العاصمة اتصالا حسيا . فهو قادر على التمييز بين المفيد وغير المفيد أو بين الضرورى والكالى فيها . وهو يحس كبرياء تثير سروره وأحيانا تبعته على أئدرس لشؤون مدينته حين يرى أن مشروءا من المشروعات الذى اشترك فى مناقشتها قد تم . وهناك 'عمال كثيرة يمكن هذا المجلس أن يتولاها ويربح منها فيخفف بذلك من ضغط الضرائب على السكان .

والحكومة المحلية هى الان أساس متين من أسس الديمقراطية فى أوروبا وأمريكا حتى ان كل أمة ديمقراطية تتجه نحو تفريع السلطة بحيث لا تتحصر فى البرلمان أو فى الهيئة التنفيذية فى عاصمة الدولة . والحكومة المحلية هى 'العلاج الناجع لجميع المساوئ التى تنشأ من تركيز السلطة فى العاصمة وما يؤدى اليه من بيروقراطية تنتفشى فى جسم الدولة وتجعل الابتكار بعيدا أو مستحيلا . والمجلس بإقامته فى 'قيم وانتخاب أعضائه من سكان هذا الإقليم أعرف بمحاجاته وأغير على توفيره من البرلمان البعيد عنه والأهم الصغيرة مثل نروج وأسوج ودنمركا وسويسرا هى أعظم الأمم حاية بحالها البلدية ورفعة فى التوسم فى حقوقها . وليس هذا لأنها صغيرة وانما لأنها لا تنزع الزعات الامبراطورية . ولذلك فهى تعتق الديمقراطية وتمارسها بأقصى حدودها . والبرناج الذى تقوم به هذه المجالس ليس جامدا ولا هو يسير على طراز واحد . فان أحد المجالس قد يلتفت الى التليم وآخر قد يعنى العناية الكبيرة بزينة الشواطئ بل ان آخر قد يتجر أو يؤسس بنكا تجاريا أو غير ذلك مما تتطلبه الظروف التى تختلف بين بلدة وأخرى .